التربية وتحديات العولمـة

لقد كانت وظيفة التربية في الماضي ، تقتصر على نقل الثقافة المرجوّة والمستقرّة نسبياً إلى الأجيال الجديدة ، ويطلق على هذه الوظيفة : " الوظيفة المحافظة للتربية، والتي تقوم على نقل ثقافة الراشدين إلى الذين لم يرشدوا بعد .. أو نقل ثقافة الكبار إلى الصغار " لكن مع تطوّر المجتمع ورغبته في التقدّم ، وانتقاله من الوضع التقليدي / الجامد إلى الوضع العصري / المتحضّر ، ظهرت الحاجة الماسة إلى تعديل الدور الذي تقوم به التربية وتطويره ، انطلاقاً من ضرورة أن تضطلع التربية بدور مهمّ في استحداث التغيير ، وتسيير الحراك الاجتماعي . ولا سيّما أنّ التربية تمثّل النظام الرائد بين الأنظمة الأخرى في المجتمع (الاجتماعية والثقافية والاقتصادية) حيث يكون لها الفاعلية المؤثّرة في تنمية هذه الأنظمة ، والتي تنعكس –في المقابل- على تنمية دورها في التغيير والتطلّع إلى التحديث المستمرّ..

لقد اكتسبت عملية التغيير في التربية الحديثة أبعاداً جديدة ، تمثّلت في سرعة التغيير وغزارته وكثافته ، حتى تكاد القدرة على التغيير المستمرّ والتلاؤم والابتكار ، تصبح من خصائص التربية الحديثة ، ومن دونها يفقد الإنسان إنسانيته . فالتغيير وما يحدث في العالم من تعديل في أوضاع البيئة والتربية والاقتصاد ، لا يلبث أن يفرض سلطانه على الجميع ، وهو قد يبدأ فكرة ومن ثمّ تصبح قانوناً يجب اتباعه؛ ومسألة كهذه تتعلّق بالصلة الوثيقة بين التربية والعولمة والتعليم ، وبين العولمة والتغيير . فالعولمة لها منطلقها الخاص ، وهي تفرض أن يقوم كلّ بلد من البلدان بخلق فرص نجاحه في الوضع الكوني الجديد ، إذا كان ذلك مقدّراً له.

ولذلك ستظلّ التربية في عالمنا الراهن وفي عالم الغد ، من أبرز العوامل التي تسهم في عمليات التغيير الاجتماعي والتنمية الشاملة . كما أنّها ستبقى إحدى الأدوات الرئيسية التي يعوّل عليها في البناء الثقافي / الحضاري ، والركيزة الأساسية في إجراء التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، في مجتمعاتها من جهة ، ولمواجهة التحديّات العولمية من جهة أخرى!...

إنّ المصطلح الذي يؤكّد عليه في تعريف الثقافة ، هو أنّها ذلك الكلّ المركّب من العقائد والقيم والأفكار والمعايير والإبداعات وأنماط العيش ، التي تشكّل قوام الحياة في مجتمع من المجتمعات البشرية . أمّا العولمة ، فتفتح حياة الناس للثقافة ولتدفق الأفكار والمعرفة ، غير أنّ الثقافة التي تنقلها الأسواق الواسعة ، العالمية / المعولمة ، تدعو إلى القلق. ولذلك تواجه التربية –باعتبارها أداة أساسية لنقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل –تحدّيات العولمة التي تسعى إلى فرض قيمها وأفكارها على الكبار والصغار معاً.

وتتجلّى أبرز هذه التحدّيات في الجوانب التالية:

- تطلّعات القرن الحادي والعشرين للتربية ، بحيث يكون من أهم مخرجاتها بناء الإنسان الحرّ ، وتحقيق نضج الفرد المتعلّم في مستوياته المختلفة (الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والروحية) ، الإنسان المؤمن الواعي القادر على البناء والعطاء ، في إطار من وضوح الرؤيا وتحقيق الهدف المرجو ضمن المسؤولية الهادفة.
- الاعتراف بالواقع المعاصر ، وهو ضعيف من حيث البناء الثقافي العام والمكتسبات المعرفية ، وتخلخل الإبداعات ، وعدم رعاية الكفاءات في العلوم والفنون ، والاضطراب في الرؤية الاجتماعية في النظر إلى التخصّصات العلمية والأدبية .. وهذا كلّه يقود إلى الخلل في الأجهزة التربوية والمؤسّسات التعليمية ، التي تعدّ من أبرز الدعامات والمرتكزات القوية في البناء الثقافي ، والمؤسّسات المعرفية.
- تحديات الانفتاح والمأسسة ، حيث يساعد الانفتاح في العمل الجماعي والتنسيق ، وزيادة الوعي ونقل التكنولوجيا بصورة أفضل وسهولة أكبر . كما يساعد وضع مخطّط تربوي جديد ، مستند إلى الماضي ، في بناء مستقبل النظام التربوي لبناء إنسان القرن الحادي والعشرين.
- تحديات الإدارة التعليمية ، حيث يتمّ توفير بيئة تربوية بمضمون أكاديمي وثقافي ، وتوفير مربين متميّزين يعيشون بين الطلبة ، وتنمية إحساس الطلبة بالغيرية .. وتجاوز أمراض البيروقراطية من خلال الإبداع والسعي الذاتي نحو الإنجاز والتطوّر الذاتي والجماعي..
- -تحديات تربوية / أسرية ، تتمثّل في كيفية تربية الأبناء في هذا المجتمع بعولمته الجديدة ، حيث يعيش الإنسان تحديات معاصرة قد تزول أمامها شخصيته ؛ ومن أهمّها كيفية التعامل مع الأبناء الذين يواجهون هذا العالم بتغيّراته الكثيرة والسريعة.
- وأخيراً ، تحديات تواجه المثقّف العربي ناشئة عن الأزمة الكلية للأمّة العربية في مجالات السياسة والفكر والمجتمع ، والمتمثّلة في : (عدم وجود سياسات تربوية واضحة ، وآثار الغزو الثقافي ، والفراغ الفكري ، وارتفاع نسبة الأميّة في المجتمع)

وهكذا تتوالى التحديات على العملية التربوية / التعليمية ، والتي تتطلّب من أهل التربية والتعليم ، أن يبذلوا جهوداً متواصلة لمواجهة هذه التحديات ، والتي لا بدّ من مواجهتها والتعامل معها بجديّة وتخطيط واع ومدروس ، يحفظ الهوية التربوية ويرفع من مكانتها بالتجديد المستمر شكلاً ومضموناً.

أمّا الشواهد على هذه التحدّيات ، فتتمثّل في الأمور التالية:

- تطويع المنظومة التربوية / التعليمية / وتقييدها بأفكارها وآلياتها الرئيسة ، وإخضاع النظم التربوية / التعليمية لشروطها وهيمنتها ، من خلال فرض نماذج من فلسفات تربوية خاصة بطبيعة العولمة.

- السيطرة من خلال اختراق المنظومة التربوية / التعليمية ، وتغيير اتجاهات الأفراد ، ممّا يجعل فيها تناقضات بين الأصالة والمعاصرة ، ويؤدّي بالتالي إلى تهميش المنظومة التربوية / التعليمية أو تغيير ملامحها . ويتجلّى ذلك في الشواهد التالية:

- عولمة قطاع التعليم بسرعة كبيرة من دون تخطيط وتركيز ، من دون دراسة نتائج عولمة هذا الميدان.

- انتشار مدارس الجاليات العربية والأجنبية ، التي تدرّس الأفكار الأجنبية وباللغة الأجنبية ، وتوسيع دائرة المدارس الخاصة التي تدرّس المناهج الأجنبية باللغات الأجنبية.

- التدخّل في تعديل المناهج الدراسية بما يتناسب مع أفكار العولمة ، والاهتمام بإدخال لغة العولمة بشكل سريع لضرب اللغة الأم ، وتذويب هوية الطالب من خلال هذه اللغة المعولمة.

ولا بّد من الإشارة هنا ، إلى أنّ الولايات المتحدة الأمريكية عملت من أجل السيطرة على المؤسّسات الدولية ذات الاختصاص التربوي ، مثل : منظّمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم)اليونسكو) التي تشرف على القطاع التربوي في العالم ، باعتبار الشأن التربوي/ التعليمي شأن عالمي يُلامس الأمن والسلام في العالم ، ولذلك يجب أن يتّسم بالانفتاح ، كما يرى (العولميون. (

كما حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التوغّل في منظّمات (تربوية / ثقافية) إقليمية ، مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، والمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وسعت إلى توجيه نشاطات هيئات أخري ذات طابع اقتصادي ، مثل : صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي .. لجعلها أدوات في خدمة نمط معيّن من المنظومة المعرفية والثقافية والتربوية ، في بلدان أخرى من العالم ، دون النظر إلى النتائج المترتّبة على ذلك.

لقد شكّلت العولمة بمضموناتها وأساليبها ، خليطاً من الإيجابيات والسلبيات ، وإن كانت بنسب متفاوتة ، اختلفت النظرة إليها وفقاً لطبيعة الناظر ومنظوره ..ولذلك أثارت ظاهرة العولمة انقساماً بين المفكّرين والدارسين والمعنيين بالشأن التربوي ؛ فبعضهم يرى في العولمة نعمة تجلب الثروات والتقدّم الحضاري ، وبعضه الآخر يرى فيها نقمة وخطراً على النظام التربوي والاستقرار الاجتماعي .. وبين هذين الاتجاهين تقف التربية لتثبت هويتها ومسؤوليتها الاجتماعية.

ولمواجهة هذه التحديات لا بدّ من اتخاذ الإجراءات التالية:

1- نشر الوعي بالعولمة :

إذا كان الكثيرون –في العالم –يعتقدون أنّ العولمة أصبحت قدراً محتوماً ، فإنّ الحقيقة أيضاً ، هي أنّ العولمة غير قابلة للرفض المطلق أو القبول المطلق ، بل يجب التعامل معها كنظام متشابك الأبعاد ينبغي فهمه والتعامل معه ، في إطاره الاقتصادي والسياسي والتربوي والثقافي ، لأنّ العلاقة بين هذه الأبعاد قوية وثابتة، لا يجوز تجاهلها.

إنّ الخطوة الأولى في التعامل مع العولمة ، تتمثّل في توعية الناس بطبيعة هذه الظاهرة ، وأبعادها وأهدافها ، القريبة المدى والبعيدة المدى . لأنّ الكثيرين من الناس يجهلون حقيقة هذه الظاهرة ، حتى وإن سمعوا بها ، ولا سيّما أنّ العولمة ما تزال غير مكتملة في بنيتها والتحكّم به ، ولذا فإنّ من المتوقع أن تستمرّ إفرازاتها وتفاعلاتها مدة طويلة قبل أن تضبط وتنتظم.

ولذلك فإنّ من واجب المفكّرين والدارسين ، متابعة تطوّرات العولمة وتوضيحها للناس بعلمية وموضوعية ، مع الأخذ في الحسبان أن وقع العولمة وتأثيراتها ، لن تكون واحدة على الأمم المختلفة ؛ فالشعوب الأوروبية مثلاً ، قد لا يصيبها ضرر العولمة وهيمنة الثقافة الأمريكية ، كغيرها من الشعوب الأخرى ، وذلك لأنّ الجذور القيمية والأخلاقية للثقافات الأوروبية لا تبتعد كثيراً عمّا هي عليه في الثقافة الأمريكية التي تعدّ امتداداً لها ، أو خليطاً من فروعها.

وستبقى ردود الأفعال على مجمل التغيّرات والتحديات ، التي تأتي بها العولمة ، هزيلة ومشتّتة وربّما متناقضة ، إذا لم يتمّ التعرّف إليها ، وتوافر القدر الكافي من الإجماع على كيفيّة التعامل معها، وتحديد الموقف منها.

2- توفير إطار مرجعي للتعامل مع العولمة:

الإطار المرجعي المقصود هنا ، يعني مجموعة من المسلّمات الخاصّة بـ " تقييم " الأسس والمفاهيم والأفكار التي تقوم عليها العولمة من جهة ، والسلوكيات الإنسانية المختلفة الخاصة بها من جهة أخرى ؛ فلا يمكن لأمّتنا- في أية حال من الأحوال –أن تتخلّى عن القيم الإنسانية ، كصلة الأرحام واحترام حقوق الإنسان ، والرحمة بالفقراء والتسامح ، والتعاون على الخير ..فالمطلوب ليس اعتراف الناس بهذه الأصول والقيم فحسب ، وإنّما تربية الناشئة عليها وإبراز نماذج وقدرات تتجسّد في حياتها وسلوكاتها. ولذلك لا بدّ من تنظيم ردود الأفعال تجاه المتغيّرات السريعة التي أخذت تجتاح شبابنا ، وتهدّد قيمنا ومصالحنا ومستقبلنا ولا سيّما أنّه في ظلّ العولمة ، تتقلّص سلطة الدولة والأسرة والمجتمع ، وتتمدّد سلطة المال ويتّسع نفوذها ، مع سلطة الشهوات والمتع ، والمصالح الفردية / الخاصة.

وهنا تبرز أهميّة دور الأسرة والمدرسة باعتبارهما أساس قوّة التحصين ، وحصن المواجهة المنيع ضد العولمة ؛ وهذا يتطلّب إيلاءهما الرعاية الكاملة ، ودعمهما مادياً ومعنوياً ، ليتمكّنا من تحقيق التنشئة الاجتماعية والثقافية المنشودة ، بحيث

تكون الأسرة هي المؤسّسة الاجتماعية / التربوية الأولى التي تؤثّر في الوجدان الثقافي والأخلاقي للأفراد ، بواسطة ترسّخه لديهم من قيم ومبادىء أخلاقية عالية .. كما أنّ المدرسة هي المؤسّسة التربوية المكمّلة للأسرة ، وأداة مهمّة تعمل على إرساء أسس الثقافة الوطنية وترسيخها .

ولا شكّ أنّه في حال تقصير هاتين المؤسستين عن تأدية دورهما التربوي ، فإنّ أفراد المجتمع بوجه عام ، والناشئة منهم بوجه خاص ، سيلجأون إلى مصادر إنتاج أخرى (معرفية / تربوية) قد لا تنسجم مع قيم المجتمع وهويته الخصوصية.

3- التربية المستمرّة (المستدامة :)

إنّ التربية النظامية في إطارها الضيّق ، لم تعد قادرة على مواكبة ظاهرة التغيير العلمي المتسارع ، والتفجّر المعرفي الكبير ، وما يتبع ذلك من تحدّيات يواجهها إنسان هذا العصر . كما أنّه ليس بإمكان التربية أن تقتصر على تكوين الأطر البشرية وفق قوالب جاهزة ، ومطابقة للمعطيات السائدة فحسب . ولذلك لا بدّ أن تكون ذات اتساع وانتشار بحيث تشمل الأفراد من جميع الأعمار ، وتكون متواصلة مع الإنسان ما دام على قيد الحياة . وهذا أوجد التربية المستمرّة أو (التربية المستدامة. (Continuous Education -

فالتربية المستمرّة ، تشتمل على كلّ ما من شأنه العمل على توسيع دائرة الوعي الفكري والعلمي والمهني ، لدى الأفراد ، وبما يساعدهم في اتخاذ قراراتهم بأنفسهم وفق المتطلبات المستجدّة ، وبالتالي حفزهم على متابعة العمل الحياتي وتحسينه . فالتغيّرات الحضارية / العلمية والثقافية / المتسارعة ، تضع أمام التربية المستمرّة مدى الحياة ، مطالب تربوية وإنسانية لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا سيّما أنّ مضمون محتوى التربية المستمرّة يدور حول مبادىء عامة ، كالبحث عن المعرفة والثقافة والإنتاج والبيئة ، وكيفية التعامل معها.

وبما أنّ التربية المستمرّة عملية متجدّدة ، فإنّها تهدف إلى استمرارية التحسّن نحو الأفضل ، وإلى تحقيق أعلى درجة من أشكال تكامل الذات الإنسانية .. ولذلك فهي تتميّز بديناميتها وتكييف موادها ووسائلها ، بما يتناسب مع التطوّرات المستجدّة في التربية.

ولذلك يتنامى الاهتمام بالتربية المستمرّة على المستوى العالمي ، بوصفها قاعدة أساسية للتطوّر الإنساني الذي تسعى إليه بلدان العالم أجمع . وفي ذلك يتجسّد الشعار الأساسي للتربية المستمرّة، وهو "التربية للجميع .. التربية مدى الحياة " هذا الشعار الذي فرضته روح العصر الساعية إلى مزيد من التقدّم والتطوّر.

وهكذا تبدو أهمية التربية المستدامة ، في ظلّ العولمة ، من أهمّ سبل الاستجابة لعالم يسير بخطى واسعة جداً ، يصعب على التربية التقليدية أن تلحق به وتواكب

معطياته، إلاّ إذا استطاعت أن تجدّد ذاتها (محتوى وممارسة) .. وتبق التربية المستدامة عاملاً أساسياً في مسيرة التغيير ، وتكوين الفرد المستقلّ المبدع ، الذي يتمكّن من التعامل الإيجابي مع معطيات ثقافة المعلوماتية ، وتوظيفها في الاتجاه الصحيح.

رابعاً-سمات التربية في مواجهة تحدّيات العولمة

يقول إميل دوركهايم : "إنّ التربية تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والأخلاقية والعقلية ، عند الفرد وتنميتها ؛ وهي الحالات التي يتطلّبها المجتمع بوصفه كلاً متكاملاً ، والتي يقتضيها الوسط الاجتماعي الخاص الذي يعيش فيه الفرد "وهذا يعني أنّ التربية عملية اجتماعية من حيث المنطلق والهدف ، وبالتالي فهي مدنية بطبيعتها.

وانطلاقاً من ذلك ، فإنّ المسؤوليات الأساسية للتربية تكمن في تمكين الإنسان /الفرد من فهم طبيعة المواقف والمشكلات التي يواجهها ، على الصعيدين : الفردي والاجتماعي ، وإعداده بالتالي للتكيّف مع العصر الحاضر واستشراف آفاق المستقبل.

أمّا في عصر العولمة ، فإنّ الحاجة ماسّة إلى تربية تحفظ للأمّة هويتها وتميّزها ، تربية تنتقل بها من العمالة العضلية إلى العمالة العقلية .. في زمن التلوّث الفكري والسمعي والبصري والمائي والهوائي ؛ تربية تبني قناعات التغيير من التزامن إلى الزمن المرن ، ومن التركيز الجغرافي إلى الانتشار ، ومن ديمقراطية التمثيل الشمولي إلى المشاركة الشعبية ، ومن التخطيط الجزئي إلى التخطيط الكلّي .

إنّها التربية التي تخرج النظام التربوي من الحيزّ الضيّق في البحث النظري والخبرة الشخصيّة ، إلى التوسّع في الإفادة من معطيات التجارب العصرية ، التي تتناسب مع أصالة الأمّة وبناء حاضرها ومستقبلها ، بحيث تكون أكثر قدرة على التعامل مع حركة العولمة وتحدّياتها . وهذا يعني أن تمتلك الحركة التربوية / التعليمية سمات الحيوية والنشاط، وتدفعها إلى الإبداع والإنجاز الجيّد ، بحيث يتخطّى النظام التربوي أية عقبة أو عثرة..

ولكي تتمكّن العملية التربوية من إنجاز مهامها في زمن العولمة ، لا بدّ أن تتمتع بالسمات التالية :

1- التطلّع والطموح نحو الأفضل:

إذا كان الواقع التربوي الذي نعيشه سيئاً في بعض جوانبه ، فهذا لا يعني أنّه حقيقة حتمية وثابتة ، بل هو نتاج أسباب وعوامل عرَضيّة قابلة للتعديل والتحسين .. فالمؤسّسات التربوية والتعليمية الناجحة ، هي التي تقوّم أداءها بشكل منتظم ،

وتخطّط لرفع مستواه وزيادة فاعليته وإنتاجيته ، وبذلك تبقى آفاق التقدّم مفتوحة أمام التربية لتحقيق الأفضل والأشمل ، بالنسبة للفرد والمجتمع.

2- الثقة بالنفس والجرأة في المعالجة:

إنّ رؤية إبداعات الآخرين وإنجازاتهم، التربوية والتعليمية ، تدفع الثقة بالنفس والتوجّه إلى اكتشاف القدرات والطاقات .. ولكن يجب عدم الوقوف موقف الانبهار والإعجاب ، حيث تفقد الثقة وتتجمّد العقول ، بل لا بدّ من إجراء التطوير المناسب لكي لا تكون العملية التربوية جامدة أو تابعة للانبهار . وقد يكتشف أنّ العمل التربوي المنفّذ فيه أخطاء ومواطن ضعف ، وهنا يأتي دور الإنسان الواعي المدرك متطلّبات العملية التربوية / التعليمية ، فيقوم بتصحيح الأخطاء وينتزع قراره من الضغوطات التي يواجهها.

3- انطلاق العقل والرؤية الإيجابية:

يشكّل عقل الإنسان حجر الأساس في انطلاقته، وإنّ أي كبت للآراء وعدم إعطائها الفرصة للطرح والمناقشة والتجريب ، يعطّل مسيرة التجديد التربوي ، ولا يحقّق أي تطوير . ولذلك لا بدّ من إعطاء العقل حرية الانطلاق بضوابط تمنعه من الوقوع في الأهواء ، وتمكّنه من تسخير الإمكانات المتاحة من أجل تربية بنّاءة . ويكون للرؤية المتفائلة بالمستقبل ، دور كبير من خلال المنظار التربوي الصحيح ، يتمّ التعامل معه باستعداد عالٍ يواجه التحدّيات.

4- الأصالة والمعاصرة:

وهما عنصران متلازمان للعملية التربوية ، التي يراد لها أن تكون في زمن العولمة ؛ فالأصالة بقدر ما تعبّر عن التراث والانتماء فإنّها تكفل التعايش مع المستجدات ومتطلّبات العولمة من دون عوائق . والتمسّك بالأصالة لا يعني رفض المعاصرة ، والعكس صحيح أيضاً ؛ ولا بدّ من المزج والتكامل بين ما هو أصيل ومعاصر . وهذا ما يساعد على إثراء العملية التربوية وإنهاضها.

5- الشمولية والتواصل والاتّزان:

إنّ الشمولية سمة هامّة من سمات التربية المعاصرة، فهي شاملة لكلّ ما هو نافع ولا يصادم ، أو يخالف ، المبادىء والقيم ، مع الاستفادة من الآخرين .. فعلى الرغم من ضرورة الحفاظ على الهوية وتميّز عناصرها ، فهي متواصلة مع تجارب المجتمعات الأخرى؛ فلا هي انطوائية على نفسها ، ولا هي تائهة مفرطة بأصولها وذاتيتها.

إنّ أي نظام تربوي يمتلك تلك السمات آنفة الذكر ، يستطيع مواجهة تحدّيات العولمة بأسلوب موضوعي وفعّال . وبصورة أكثر وضوحاً ، إذا كانت تلك السمات من ضرورات التربية المعاصرة ، فلا بدّ أن تأخذ بالمضمونات التالية:

-التغييرية / التطوريّة ، التجديدية وليس الجامدة .. والإبداعية لا تربية الذاكرة.

-الحوارية وليس التلقينية ، والديمقراطية وليس التسلّطية.

-الانفتاحية الواعية وليس الانغلاقية ، والتعاونية وليس الفردية.

-التقانية وليس اليدوية ، والذاتية المستمرّة وليس الآنية.

-المنتجة وليس الاستهلاكية ، والشمولية التكاملية وليس الجزئية الضيّقة.

-وأخيراً ، العملية العقلانية وليس السطحية / التسليمية ، والوثوقية الموضوعية وليس العشوائية أو الارتجالية . أي التربية المعتمدة على التفكير العلمي والبحث والتخطيط ، وليس التربية السطحيّة أو العفوية قصيرة الأمد.

وإذا كانت ظاهرة العولمة أصبحت واقعاً لا يمكن تجاهله ، أو الاستسلام له ، فإنّ هذه المعطيات / الخصائص ، تطرح أمام التربية مهمّات عديدة وكبيرة ، تستطيع أن تبرهن من خلالها ، عن قدرتها على الاستفادة من إيجابيات ظاهرة العولمة في مواجهة العولمة ذاتها ، وتجنّب سلبياتها وأضرارها ، على الفرد والمجتمع.

خامساً-المؤسّسة التربوية في مواجهة العولمة

تعّد المؤسّسة التربوية من قمّتها إلى قاعدتها ، ومن إدارتها المركزية إلى إداراتها الفرعية، المسؤول الأول عن الإشراف على تنفيذ الخطط التربوية ، ومدى تحقيق أهدافها .ولذلك فإنّ الدور الكبير والمهمّ الذي يجب أن تقوم به المؤسّسة التربوية/ التعليمية ، لمواجهة العولمة وبناء المجتمع المدني السليم، يتمثّل في الإجراءات التالية:

- ضرورة توفير الخدمات التي تقدّمها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ، في قاعات التدريس ، الأمر الذي يتطلّب إعادة تنظيم هذه القاعات وتجهيزها ، واعتماد التقنيات والبرمجيات الحاسوبية، بما تمكّن المتعلمين من الاستفادة المطلوبة من تلك الخدمات.
- اهتمام المدارس بمهارات التفكير الإبداعي ، كعنصر رئيس في التعلّم ، وذلك من خلال توفير بيئة تعليمية إبداعية .. وتطبيق إستراتيجية التعليم الشامل في المؤسّسة التربوية ، في مواجهة تأثيرات العولمة في العصر الحديث.

- ضرورة توحيد المرجعية للمؤسّسة التربوية والإعلامية ، بما يضمن عدم التناقض في الرسالة التي تقدّمها المؤسّستان .. والتأكيد على دور مؤسّسات المجتمع المدني في تحصين الشباب ضدّ آثار العولمة.

1-النظام التربوي في مواجهة العولمة:

إنّ ما أفرزته الثورة المعرفية والتكنولوجية من تحدّيات واجهت التربية والتعليم ، في ظلّ العولمة ، وضعت أمام المؤسّسات التربوية مهمّات جمّة ، ولا سيّما في مجال تقديم تعليم ذي كفاءة (جودة) يتناول النظام التربوي بعناصره المختلفة ، من التخطيط إلى مضمون التعليم وطرائقه ووسائله . فمهما بلغت كفاءة المعلم ، فلا يكتمل الأثر أو تتحقّق الأهداف إلاّ بالتطوّر النوعي لعملية التعليم والتعلّم ، أي تحقيق الجودة الشاملة في التعليم.

واستناداً إلى ما تقدّم ، يمكن تحديد مواصفات كلّ عنصر من عناصر النظام التربوي في مواجهة العولمة ، على النحو التالي:

1/1- المعرفة في مواجهة العولمة:

لم يعد الكتاب المدرسي هو المصدر الوحيد للعلوم والمعارف ، ولم يعد المعلّم هو الناقل الوحيد للمعرفة ؛ ففي ظلّ العولمة ، تعدّدت المصادر والأدوات المعرفية ، وما على المعلّم إلاّ أن يكون منظّما وموجّهاً للمتعلّم لكي يهيّء عقله ونفسه لتقبّل هذه المعارف ، بطرائق وأساليب حديثة ، تتسّم بالدقّة والشمولية . ويمكن إجمال مضمونات المعرفة العصرية وأساليبها في الأبعاد التالية :

1/2- تكوين الإنسان الكلّي :

وهذا يتطلّب السعي لتحقيق التربية المتكاملة ، حيث تهدف العملية التربوية إلى إيضاح قدرات المتعلّم (الجسمية والعقلية والاجتماعية والروحية) . كما تهدف المعرفة في ظلّ العولمة وثورة المعلومات ، إلى تنمية التفكير العلمي ، بمجالاته المختلفة ، ومناهجه ونتائجه .

1/3- الشمول المعرفي :

وهذا يقتضي الإلمام بالمضمونات والمفاهيم التي تحتويها منظومة المعارف الإنسانية ، والتي تتألّف من التربية الأخلاقية والدينية ، واللغويات والاجتماعيات ، والتقنيات والرياضيات ، في ضوء مراحل نموّ المتعلّم وقدراته .. ويتطلّب الشمول المعرفي التركيز على قيمة كلّ نظام معرفي ، ومفاهيمه الأساسية ومناهجه العملية ، والتي من أجلها يتمّ وضعه كضرورة أساسيّة في مقرّرات التعليم.

1/4- توظيف الأساليب والطرائق ومصادر المعرفة :

إنّ العملية التربوية في ظلّ العولمة والمعلوماتية ، لا تستهدف حفظ المعلومات وتذكّرها، لأنّ التكنولوجيا كفيلة بذلك ، ولكنّ العملية التربوية تدور أساساً ، حول مهارات المعرفة العلمية في طرائق التدريس ، كالفهم والتساؤل والتنظيم والتفسير ، وتوظيف العمليات العقلية كالتصنيف والتبويب والتأمّل والنقد ، ودلالات الزمان والمكان ، واكتساب روح المغامرة واحتمال الصواب والخطأ ، وحلّ المشكلات وتصميم البدائل.

وبما أنّ العولمة شملت وسائل نقل الأفكار المتعلّقة بمجالات الحياة كافة ، وبسلوك الإنسان، ضمن منظومة معلوماتية ، فلم يعد ثمّة مجال للانغلاق أو العزلة الحضارية بمفهومها الواسع . فالأفكار تقتحم الحواجز وتتجاوز الحدود المادية والمعنوية ، ولذلك فالعزلة عن المعرفة قد تكون أمراً مستحيلاً ، ولا بدّ من الاصطدام الحضاري الإيجابي ، الذي يؤدّي إلى حوار يوصل إلى درجة عالية من الشفافية ، وبلورة العديد من المفاهيم والقيم الجديدة.. ومن ثمّ اقتباس أو أخذ المعقول منها وترك ما يخالفه ..(محاسنة ، ٢٠٠٣ ، ٢٧٨) ولرفع مستوى الاستفادة من العلوم والمعارف التي تحتضنها العولمة ، فلا بدّ من رفع قدرة الكفاءة التقنية للاستفادة من الكم المعلوماتي الهائل ، المتوافر في وسائل العولمة بكفاءة ويسر وفاعلية.

2- المتعلّم وأهداف التربية في مواجهة العولمة:

إذا كانت التربية مرتبطة بالمجتمع الذي أنتجها ، منطلقات ومضمونات وأهداف ، لكي تعدّ أفرادها للعيش الإيجابي فيه ، والإسهام الفاعل في تنميته وتقدّمه ، فإنّه من الضرورة بمكان القيام بإجراء المزيد من الدراسات العلمية ، بهدف التحليل الموضوعي الناقد / المقوّم للفكر التربوي القائم ، والكشف عن مضموناته وتحديد أهدافه الرئيسة؛ ويكون هذا العمل من خلال رصد الخبرات السابقة وتحليل واقعها ، ودراسة الاتجاهات التربوية العالمية المعاصرة .

ولا شك أنّه بقدر ما يكون الفكر التربوي واضحاً وقابلاً للتطبيق والممارسة ، يكون وضع الأهداف التربوية –في المقابل- سهلاً وميسّراً ، بحيث تتناسب هذه الأهداف مع متطلّبات العولمة وتحدّياتها للعملية التربوية.

وبما أنّ المتعلّم هو العنصر الأهم في العملية التربوية / التعليمية ، ومحورها الذي توظّف له العناصر التربوية الأخرى ، فإنّ أهداف التربية في إعداد الفرد (بناء الفرد) في ظلّ العولمة ، تتمثّل في الجوانب التالية :

2/1 - إعداد الفرد للمواطنة والمشاركة الاجتماعية والسياسية:

إن المجتمع يواجه معضلة حقيقية في سلوك الأفراد ، تتمثّل في انحدار القيم الرفيعة ، ومحاولة الهروب إلى إيمان شكلي تدلّ عليه أنماط السلوك السائدة .. فالمطلوب في ظلّ العولمة تمثّل نماذج من القيم الرفيعة في الإنتاج والعمل والعلاقات الصادقة مع

الآخرين..وتقوية اعتزاز الإنسان / المتعلّم بوطنه وقوميته، بطريقة مبنية على تبريرات حياتية عامة ، انطلاقاً من أنّ هناك خطراً على ثقافة الأمّة وهويتها الحضارية.

وإذا كان النظام العولمي يستهدف الهوية الثقافية / الوطنية ، فإنّ من واجب النظام التربوي أن يعدّ المتعلّم / الفرد ، فكرياً وسلوكياً ، لأداء واجبات المواطنة والمشاركة الإيجابية في الحياة الاجتماعية والسياسية . فلا بدّ أن يتعلّم الفرد في ظلّ النظام التربوي المنشود حقوقه وواجباته ، وأن يمارس الديمقراطية واحترام الآراء الأخرى داخل المؤسّسة التربوية .. وأن يمارس نماذج من الحوار اليومي ، وكيفية العمل مع الجماعة ، وأن يشترك في العمل التطوّعي والتخطيط لبعض الأنشطة (داخل المؤسّسة التربوية وخارجها(.

2/2- إعداد الشخصيّة المؤمنة بالعمل والإنتاج والإتقان:

إنّ المؤسّسة التربوية مطالبة –اليوم –بتشكيل إنسان متعدّد المهارات التي تناسب عصر العولمة والمعلوماتية ، مثل مهارات استخدام الحاسب والإنترنت ، ومهارات اكتساب لغة أجنبية بشكل أفضل .. وغيرها من المهارات التي تكسب المتعلّم / الفرد القدرة على التعبير عن الذات ، والاتصال الإيجابي بمن حوله . وهذا يعني ربط الجانب النظري بالجانب العملي، بتضمين المناهج نوعاً من التدريب المهاري المتدرّج / المتطوّر ، الذي يكسب المتعلّم العقل العملي والمهارات اللازمة للسيطرة على الأشياء ، ويجعله يحترم الإنتاج ويقدّر قيمة العمل وأهميته وضرورة إتقانه.

2/3- إعداد الفرد لتقبّل التغيير والمرونة في الاستجابة له:

تعصف في عالم اليوم ، تغيّرات كثيرة ومتسارعة ، ومتناقضة أحيانا في مضموناتها ..وهذا يتطلّب من النظام التربوي أن يقدّم للمتعلّم تدريباً على المرونة وسرعة الاستجابة للتطوّرات المحلية والإقليمية والعالمية . ولذلك لا بدّ من التركيز على النظام المنهجي في التعامل مع التغيير المقصود أو المفاجىء . . وتزويد الأفراد / المتعلمين بمهارات التعلّم الذاتي لاكتساب المعارف المتجدّدة ، وتوظيفها بسرعة ، والاستجابة الفاعلة للمستجدّات والتغيّرات الطارئة في المحيط الشخصي والاجتماعي.

2/4- إكساب الأفراد التفكير الناقد والإبداع والابتكار لصنع المستقبل:

إنّ المنهج السليم الذي يمتاز بالعلمية والتفكير الناقد ، هو القادر على مواجهة المستجدات في الحياة ، حيث يوفّر القدرة على مواجهة المشكلات واقتراح الحلول العملية / العلمية لها .. ويتطوّر هذا المنهج في التفكير ، ليفضي إلى أجواء تؤدّي إلى التقدّم والإبداع . وهذا يحتاج إلى استثمار الإبداع في شخصيات المتعلمّين ، عن

طريق التربية الشخصية المتوازنة ، والرعاية الكافية في توظيف إنتاج المبدعين ، ونشره وترويجه ودعمه سياسياً .

وأخيراً ، لا بدّ من التأكيد على أنّ التربية المتوازنة لشخصيّة المتعلّم ، تتمّ من خلال التربية المتكاملة (الجسمية والوجدانية والعقلية والاجتماعية) بحيث يستطيع الفرد أن يتكيّف مع المجتمع ويتفاعل مع الآخرين ، متعاوناً ومنتجاً ومبدعاً ، في إطار مصلحة المجتمع وتطوّره.

3- المعلّم في مواجهة العولمة:

إذا كان المعلّم –إلى عهد قريب- هو محور العملية التعليمية باعتباره الناقل للمعلومات، التي يتوجّب على المتعلمين تلقّيها وحفظها واستظهارها ، فإنّه مطالب –اليوم –أن يكون قائداً فكرياً واجتماعياً وتربوياً ؛ أن يكون معلّما قادراً على مساعدة المتعلّم لكي يكتسب مهارات التعلّم الذاتي ، والبحث عن المعلومات من مصادرها الأساسية ، وبالتالي استرجاع هذه المعلومات وتحليلها ونقدها ، واختيار الأفضل منها وتوظيفها في مواجهة المشكلات الحياتيّة وحلّها بالطرائق المناسبة.

فلا بدّ إذن من الاهتمام بمهنة التعليم باعتبارها ، أصبحت مهنة (صناعة الإنسان)، والأساس في رقيّ الإنسان وتقدّم المجتمع .. وهذا يتطلّب تعزيز مكانة المعلّم : الأدبية والمادية، ورفع مستوى تنظيماتها المهنية والثقافية والاجتماعية ، وحفز العناصر المتميّزة على الانخراط في هذه المهنة الشريفة (المقدّسة) . فالمنهجية الجديدة التي فرضتها العولمة ، تحتاج إلى تكوين نوعيات جديدة من المعلّمين عالية الكفاءة ، رفيعة المستوى الأكاديمي والمهني والأخلاقي ، نوعيات ذات فعالية في عمليات التغيير الاجتماعي. (مدكور، ٢٠٠٠، ٢٠٧)ولا سيّما أنّ هناك تحديات معاصر/كبيرة تواجه المعلّم ، مثل العلاقات بين الإنسان والبيئة والتنمية ، والتحوّلات في نظام القيم والعلاقات الاجتماعية ، وثورة المعلوماتية وانعكاساتها على مناحي الحياة (الاجتماعية والثقافية والفكرية. (..

إنّ من أهمّ الموضوعات التنموية التي يركّز عليها تقدّم المجتمع ، وقدرته على مواجهة التحدّيات العديدة والمتسارعة ، ، هو موضوع إعداد المعلّم في القرن الحادي والعشرين ، ومن خلال الاهتمام بالجوانب : (الشخصية والفكرية والإنسانية ، والمعرفية ، والمهنية) . ولذلك فإنّ مواصفات المعلّم في عصر العولمة ومسؤولياته، كثيرة ومتنوّعة ، ولعلّ أبرزها يتمثّل في الجوانب التالية :

3/1-أن يستند المعلّم ، في عمله وسلوكه ، إلى قاعدة فكرية متينة وعقيدة إيمانية قويّة، ويحضّ على العلم والعمل والأخلاق . وذلك انطلاقاً من إدراكه أهمية المهنة التي يمارسها ، وقدسية رسالتها والارتقاء بها . وأن يدرك ، ومن خلال نظرة نُظميّة / منهجية وعلمية متطوّرة ، موقعه وأهمية دوره في عصر العولمة والانفتاح العلمي والثقافي.

3/2- أن يدرك المعلّم أنّه في عصر ثورة المعلوماتية وتقنيات الاتصال المتطوّرة ، لم يعد المصدر الوحيد الذي يتلقّى منه المتعلّم المعارف والاتجاهات ، بل أنّ هناك تأثيراً عميقاً وشديداً لبعض وسائل الإعلام والاتصال ، كالحاسب والإنترنت والتلفزيون والفيديو ، ممّا يفرض على النظام التربوي عامة ، وعلى المعلّم خاصة ، مسؤولية كبرى ذات اتجاهين:

- الأوّل ، يتلخّص في الاستخدام الإبداعي لهذه التقنيات ، وتوظيفها بفاعلية لمصلحة العملية التربوية ، وتحقيق نوعيّة تعلّم ذات جودة عالية.
- والثاني : يركّز على بناء علاقات تشاركية فاعلة بين العاملين في المدرسة والأسرة ووسائط الاتصال ، ومؤسّسات المجتمع المدني كافة .. وذلك بهدف بناء إستراتيجية تربوية وطنيّة متكاملة ، تسعى لإعداد جيل المستقبل –جيل القرن الحادي والعشرين ، إعداداً يمكّنه من استيعاب متطلّبات العصر ومستجدّاته استيعاباً واعياً ، والاندماج الفاعل في مجتمع القرية الكونية.

3/3- أن يدرك المعلّم أهمية الفئة من المتعلمين ، التي يتعامل معها وأنّها النواة الأساسية للتغيير والتطوير . فيستوعب خصائصها ويتلمّس احتياجاتها النمائية ، ويراعي الفروق الفردية فيما بين أفرادها.وأن يدرك أنّ المتعلمّين ينظرون إليه كقدوة ومثال ، وأن سلوكه يؤثّر فيهم أكثر من كلامه.

3/4- وأخيراً ، أن يدرك المعلّم أنّ مهنة التعليم لها قواعد وأصول تتطلّب كفايات معيّنة لممارستها ، وعليه أن يهيّء نفسه للتعامل مع شبكة المعلوماتية، وامتلاك المهارات التي توصله لتوجيه الطلبة إليها، وتدريبهم على استخدامها بفاعلية.

إنّ كلّ ما تقدّم ذكره ، يؤكّد دور المعلم في مواجه العولمة ، وضرورة زيادة كفاياته العلمية والمهنية ، ليكون عنصراً فاعلاً في العملية التربوية ، وليس عنصراً حيادياً، في عصر العولمة بتجلياتها وأبعادها المختلفة.

4- المناهج الدراسيّة في مواجهة العولمة:

إذا كان النظام التربوي أحد فروع النظام الاجتماعي العام ، فإنّ المناهج الدراسية هي الأداة الرئيسة التي تستخدمها التربية لتنفيذ أهدافها . ولذلك يعدّ المنهاج الدراسي التركيبة الأساسية المناط بها ترجمة الفلسفة التربوية ، إلى أساليب وإجراءات تربوية تطبيقيّة دا خل حجرة الدراسة ذاتها ، فتستمرّ فعاليتها في ذهن المتعلمّ ويبقى تأثيرها في سلوكه ، انطلاقاً من طبيعة النشاط التربوي المنفّذ لتحقيق السلوك المرغوب ، والأهداف المنشودة.

وانطلاقاً من أهمية المنهاج في العملية التربوية / التعليمية ، فلا بدّ من اتخاذ الإجراءات اللازمة لوضع مناهج تربوية تساعد الناشئة في مواجهة العولمة ، ومن أهم هذه الإجراءات :

4/1- تقويم المناهج الحالية:

ويتمّ ذلك بإجراء دراسة تحليلية / تقويمية شاملة للمناهج الحالية ، للوقوف على مدى قدرتها على مواكبة العولمة ، بمفاهيمها وقيمها ، بحيث تعتمد هذه الدراسة الجانبين التاليين:

الجانب الأول : معرفة المفاهيم المرتبطة بالعولمة أو ذات الصلة بها ، مثل (:النظام العالمي الجديد ، وحوار الحضارات ، والهوية الثقافية ، والاستقلال الثقافي ،و التبعية الثقافية ، والغزو الثقافي ، وحقوق الإنسان ، والتعاون الدولي ، والسلام العالمي. ..)

الجانب الثاني : معرفة القيم التي يتبنّاها النظام التعليمي ، وهل هي قيم تقليدية أو قيم حديثة ؟ أو تجمع بين التقليدية والحداثة ؟ وما هي معادلة التوازن المثلى بينهما في المناهج الدراسية ؟

4/2- تثبيت القيم والاتجاهات الأصيلة:

وذلك بوضع خطّة تشمل المواد الدراسية المختلفة لتنمية القيم الثابتة ، وتطوير الاتجاهات اللازمة لإعداد الإنسان / الفرد لمواجهة تحدّيات العولمة ، ومتطلّبات القرن الحادي والعشرين.

وثمّة قيم ثقافية عامة لا بدّ من تنميتها ورعايتها تتمثّل في:

- وعي الحقوق الإنسانية مع الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية ، وتعزيز الروح التعاونية.
- الإيمان بقيمة العدالة الاجتماعية والمشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرار الوطني ، وإدراك التقارب في المساواة بين الجنسين.
- فهم الفروق الثقافية والتعددية وفلسفة التسامح معها ، وتفتّح العقل وتهيئته للتغيير.
- تطوير روح الرعاية والعناية ، وتأصيل الالتزام بحماية البيئة والتنمية المستمرّة.

4/3- الثقافة الذاتية والإنسان المستهدف:

لا بدّ للقائمين على تصميم المناهج الدراسية ، من وضع تصوّر للمعلومات والمعارف والمهارات ، التي يجب أن تتوافر للمتعلّم ، مع التأكيد على الاهتمام بالقيم

الثابتة التي تؤصّل ذاته ، وتبرز هويته وتحافظ على كينونته ..فالتصوّر الصحيح لما يملأ العقل والوجدان ، يمكن أن يبشّر بمواصفات الإنسان الذي ينبغي على المناهج الدراسية أن تعدّه لمواجهة تحدّيات العولمة . ولهذا فإنّ أهم دور للمناهج المدرسية في مواجهة العولمة ، كأيديولوجية ، هو أن تبرز الذاتية الثقافية عند المتعلمين ، ملتمسة في سبيل تحقيق ذلك ، المظاهر والأنماط الثقافية كافة ، والتي تؤكّد هذه الذاتية وتعمل على تأصيلها.

واستناداً إلى المعطيات السابقة عن طبيعة المناهج الدراسية ، لمواجهة تحدّيات العولمة، فلا بدّ أن تتطوّر هذه المناهج بحيث تتّسم بما يلي :

- مساعدة المتعلمين في فهم أكبر للعولمة وكيفيّة التعامل معها ، وإدراج موضوع العولمة ضمن الموضوعات التي تدرّس في الجامعات.
- تطبيق فكرة التعليم المتوائم الذي يحقّق التكامل بين الخصوصية الثقافية ومتطلّبات المنظومة العالمية .وتنمية الفكر الناقد لتحقيق التفاعل الإيجابي مع ثقافات الآخرين ، قبولاً أو رفضاً.
- تطوير المناهج لمواجهة أساليب التشويه المعرفي والتاريخي ، وإبراز دورها في المحافظة على الهوية الثقافية وتطوير القدرات والإمكانات الفردية والجماعية ، وتقوية القيم والمبادىء والأعراف الاجتماعية الصحيحة.
- العمل على محو الأميّة التكنولوجية ، من خلال الأنشطة التي تكسب المتعلمين القدرة على الاستخدام المفيد للمعلومات ، في غرس سلوكيات حبّ الاستطلاع والتركيز على التعلّم الذاتي ، ودوره الفعّال في عملية التعليم.

والخلاصة ، إنّ ثقافة التربية المجتمعية المطلوبة في زمن العولمة ، لا بدّ أن تجدّد النظام التربوي وفق معطيات العلم الحديث ، وبما يضمن حلّ المشكلات التربوية وتجويد التعليم كمّا وكيفاً . فالتركيز على تربية الناشئة تربية مجتمعية أمر لا بدّ منه ، من خلال تبنّي استراتيجيات تربوية / ثقافية ، تؤدّي إلى نشر الوعي الثقافي والتفكير العلمي ، في مواجهة تحدّيات العولمة والدخول في العصر العالمي الجديد بثقة وثبات ، في إطار مجتمع مدني متماسك في بنيته ومنطلقاته.